

وقاله أبو جعفر الباقر عليه السلام جواباً عن أمره بالخروج المبكر ولما يحن حينه ترحمًا على زيد<sup>(١)</sup>. فهذا تنزيل وذلك تأويل ولكلّ مجاله.

فالصبر أمام العراقيل في الطريق الشاق الطويل هو زاد المؤمنين، أن يثبتوا على الحق دون زعزعة ولا تلّكع، صبراً يكون سبباً لأغوار الحوادث والمصائب التي قد تنقص من الإيمان بوعد الله فتنقض وثاق الله، لا صبر التخاذل والتنازل، وإنما صبر جميل يعني الاستقامة على الطريقة.

وهكذا تختم السورة كما بدأت بوعد النصر، تختم بالصبر انتظاراً لانتصار بنصر الوعد وتحققه كما يراه الله.

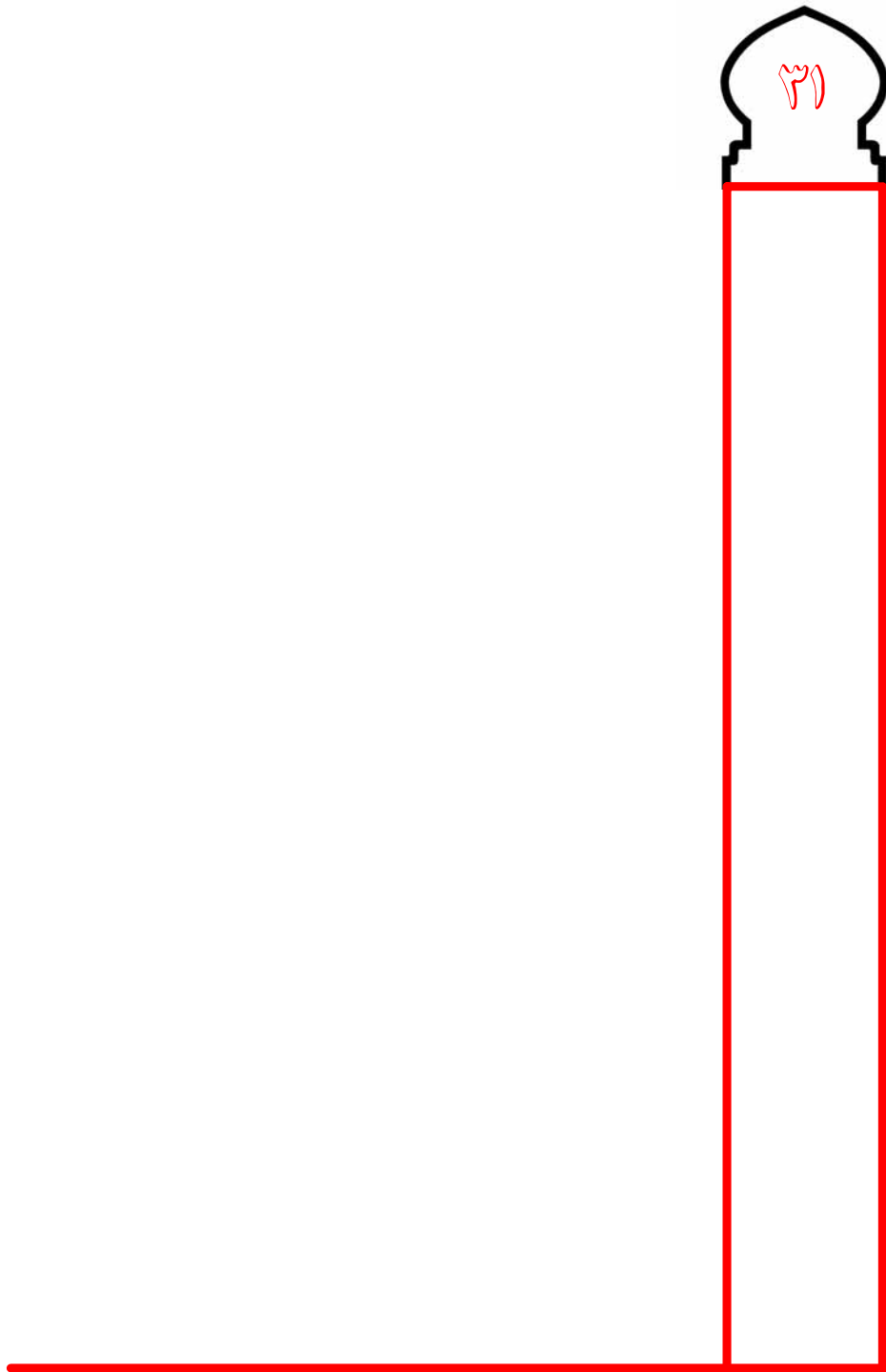


= وامير المؤمنين عليه السلام يقرأ فقال ابن الكوا عليه السلام ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الرُّوم: ٦٥] فسكت أمير المؤمنين عليه السلام حتى سكت ابن الكوا ثم عاد في قراءته حتى فعل ابن الكوا ثلاث مرات فلما كان في الثالثة قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوفُونَ﴾ [الرُّوم: ٦٠].

(١) المصدر عن الكافي ان زيد بن علي بن الحسين دخل على أبي جعفر عليه السلام ومعه كتب من أهل الكوفة يدعونه فيها إلى أنفسهم ويخبرونه باجتماعهم وبأمره بالخروج فقال له أبو جعفر: هذه الكتب ابتداء منهم أو جواب ما كتبت به إليهم ودعوتهم اليه؟

فقال: بل ابتداء من القوم لمعرفةهم بحقنا وبقرايتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله ولما يجدون في كتاب الله عز وجل من وجوب مودتنا وفرض طاعتنا ولما نحن فيه من الضيق والظنك والبلاء، فقال له أبو جعفر عليه السلام ان الطاعة مفروضة من الله عز وجل وسنة أمضاها في الأولين وكذلك يجريها في الآخرين والطاعة لواحد منا والمودة للجميع وأمر الله يجري لأوليائه بحكم موصول وقضاء مفصول وحتم مقضي وقدر مقدور وأجل مسمى لوقت معلوم ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوفُونَ﴾ ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [الحجّية: ١٩] فلا تعجل فإن الله لا يعجل لعجلة العباد ولا تسبقن الله فتعجلك البلية فتصرعك».







## مكية وآياتها أربع وثلاثون

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ  
 ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾  
 أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ  
 يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا  
 أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن  
 لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قُورًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ  
 رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا  
 فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ  
 الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

سورة لقمان تحمل ثورة لقمان العقائدية والخلقية بصورة العظة لابنه،  
 وفيها ككلّ جولات ثلاث وجاه القلب البشرى بفطرته إذ يعلم الله مداخلها  
 ومساربها ومآربها، وما تغشى عليها غواش من دخان الأرض.

تبدأ الجولة الأولى من خلال النفس الإنسانية بأسلوب شيق ومؤثرات  
جادة جديدة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ...﴾<sup>(١)</sup> نموذجاً عالياً من العظات  
الرسالية مهما لم يكن لقمان رسولاً.

والجولة الثانية بادئة بعرض كائنات من السماوات والأرض: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ  
أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>.

والجولة الثالثة هي مشهد الليل والنهار والشمس والقمر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ  
يُؤَلِّجُ أَلِيلَ فِي النَّهَارِ...﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي هذه الجولات الثلاث وما بينهما جلوات عقلية وفطرية وعلمية  
وحسية تبني الأصول الثلاثة كما هي طبيعة الحال في القرآن كله ولا سيما  
في السور المكية.

### ﴿الْم ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾:

﴿تِلْكَ﴾ البعيدة الأغوار، النازلة في الزمن الرسولي، كهذه وما مضت  
وتستقبل ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾: حكيماً عند الله قبل نزوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ  
الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup> حكيماً بنازله ليلة القدر، وحكيماً في  
تفصيله: ﴿كَتَبَ أَحْكَمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

والحكمة في كل من الثلاث كما تناسبه، كالإجمال في الأولين أم ثالث  
التفصيل، والإتقان في الكلّ عن أي تدخل وتسرب من سواه، والحكمة  
البلاغية لفظية ومعنوية في كل الحقول، محلقة على كل العقول، بعيدة عن

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٩.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٤.

(٥) سورة هود، الآية: ١.

الذبول والأفول، حاكمة حكيمة محكمة كأنها الحكيم نفسه، إذ برزت وركزت فيها حكمة الرب الممكنة البروز ككلّ ودون إبقاء.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ (٣):

﴿الْكُتُبِ الْحَكِيمِ﴾ حال كونه ﴿هُدًى﴾ نفسها ﴿وَرَحْمَةً﴾ نفسها حيث تجسدتا فيه حاملاً كل الهدايات والرحمات الإلهية لكل كفاعلية مطلقة، و﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ كقابلية بفعلية الاهتداء والرحمة، والتنونين فيهما يعني التعظيم البعيد عن الأفهام.

و«المحسنين» هم الذين يحسنون الإيمان وعمل الإيمان على ضوء

﴿الْكُتُبِ الْحَكِيمِ﴾:

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٤):

فإقام الصلاة عموداً للدين مثال لكافة الصلوات الربانية بينهم وبين الله فإنها معراج المؤمن، وإيتاء الزكاة من كل الوهبات الربانية لعباد الله، يحلّق على كل الصلوات الخلقية، ثم ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ تؤصّل صلّتهم بالله وبخلق الله وتربطها من المبدء إلى المعاد، فقد أحسنوا كل الصلوات العقائدية والعملية، المتمثلة في إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ناحية منحي مرضات الله وإلى يوم الله.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥):

﴿عَلَى﴾ هنا تسيطرهم ﴿عَلَى هُدًى﴾ عظيمة واسعة ناصعة ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ لا ضلال فيها ولا كلال، وبطبيعة الحال ﴿وَأُولَئِكَ﴾ دون سواهم ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ إذ يفلحون ويشقّون طريق الهدى في البحر الملتطم بسفن النجاة، ويفلحون عمال الردى وعواملها في هذه الطريقة الشاقة الطويلة.

هؤلاء الأكارم هم من ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾<sup>(١)</sup>  
 فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾<sup>(٢)</sup> -  
 ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ...﴾<sup>(٣)</sup> كما:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا  
 هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾<sup>(٤)</sup>:

﴿الْحَدِيثُ﴾ هنا هو كل ما حدث من قول أو فعل أو مزيج منهما، فقد  
 يكون ذكراً لله، أو لهواً عن الله، أم عواناً بين ذلك خلواً عن أي ذكر أو  
 لهو، ولهو الحديث، المضلّ عن سبيل الله وهو ذكره، بأن يتخذ هزواً، ذلك  
 هو الضلال البعيد.

«اللهو» حرام في كل قوله وألوانه، فإنه ككل ما يشغل الإنسان عما  
 يهمله ويعنيه، كما اللهوة هي ما يشغل الرحي مما يطرح فيه.  
 إذا فاللهو درجات حسب درجات ما يهمل الإنسان ويعنيه، وأسفلها اللهو  
 عن الله وعن ذكر الله، وعن يوم الله، وعما يتوجب على العبد أو يحرم عليه  
 وجاه الله.

وله أسباب عدّة من معدّة وغير معدّة، فالأولى كالتكاثر: ﴿أَلْهَنَكُمْ  
 التَّكَاثُرُ﴾<sup>(٥)</sup> والأمل: ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِيهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>  
 ومنه لهو الحديث ككل، فإنها من المعدّة، ومن غير المعدّة الأموال  
 والأولاد: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾<sup>(٦)</sup> والتجارة  
 والبيع: ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾<sup>(٧)</sup> والحياة الدنيا ككل: ﴿وَمَا  
 الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾<sup>(٨)</sup>.

- |                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة النساء، الآية: ٧٤.  | (٥) سورة الحجر، الآية: ٣.     |
| (٢) سورة التوبة، الآية: ١١١. | (٦) سورة المنافقون، الآية: ٩. |
| (٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧. | (٧) سورة النور، الآية: ٣٧.    |
| (٤) سورة التكاثر، الآية: ١.  | (٨) سورة الأنعام، الآية: ٣٢.  |



فالمعدّة من اللهو محرمة على أية حال، وغير المعدّة كالحياة الدنيا بوسائلها غير محرمة إلا أن تلهي، فإنما الأصل هو الإلهاء - بالفعل - عما يعنى للإنسان كإنسان وما يعنيه كمؤمن بالله .

والمفروض في لهو الحديث أن يرفض بكل أساليبه وألوانه كمفتاح أول لرفض المحرمات كلها<sup>(١)</sup> وفرض الواجبات كلها، حيث الملاهي بجوارح وجوانح تتخطى إلى القلوب، فإذا ألهمت القلوب الغت كل ما تعني الإنسان ويعنيها الإنسان من إيجابيات وسلبيات تتبنى الإنسان كإنسان وبأحرى كحامل إيمان: ﴿لَاهِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

وأنحس بلهو يشتري، وأنحس منه: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بَعْضَ عِلْمِهِ﴾ ثم ثالث: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾<sup>(٣)</sup> فذلك مربع من النحوسة الواصلة إلى ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ .

فليست حرمة اللهو لتختص بما يشتري ويضل ويهزه، وإنما ذلك أسفل دركات الحرمة فيه، وكل ما يلهي، أو ما شأنه أن يلهي، فهو محرم في شرعة الله من غناء تلهي أو رقص يلهي أماذا من الملهيات، وأما ما يذكر الله من أصوات حسنة أو أعمال فراجحة، وما لا يذكر ولا يلهي فعوان يباح، إلا ألا يعني غرضاً عاقلاً فلغو لا يباح إلا للأطفال .

(١) الدر المنثور ٥ : ١٥٩ - أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي عن أبي عثمان الليثي قال قال يزيد بن الوليد يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا .

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٣ .

(٣) في المجمع روى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال - في الآية - هو الطعن في الحق والاستهزاء به وما كان أبو جهل وأصحابه يجيئون به إذ قال : يا معاشر قريش ألا أطعمكم من الزقوم الذي يخوفكم به صاحبكم؟ ثم أرسل إلى زبد وتمر فقال : هذا هو الزقوم الذي يخوفكم به، قال : ومنه الغناء .

فالغناء المفسر به قول الزور<sup>(١)</sup> واللهو<sup>(٢)</sup> ليس محرماً ككل حيث التغني بالقرآن محبوب، وسائر التغني بذكر الله مشكور، كما يروى عن رسول الهدى «تغنوا بالقرآن فإنه من لم يتغن بالقرآن فليس منا».

فصرف الوقت في التعرف إلى معنى الغناء، المختلف فيه اللغة والأقوال، قد يكون نفسه من لهو الحديث، حيث الأصل المحرم في الغناء وغيره هو اللهو، فقد يحل الغناء كما في القرآن، وقد يحرم غير الغناء كما في الرقص الملهي وما أشبهه، فبين اللهو والغناء - إذاً - عموم من وجه.

فمن لهو الحديث ما يلهي بنفس الحديث دون غناءه كالتقصص الأسطورة المزخرفة المقصودة في المقاهي وسائر النوادي المناسبة لها وهي من شؤون نزول الآية<sup>(٣)</sup> ومنه ما يلهي بغنائها سواء أكان معناه ملهياً مثله

(١) كما في صحيحه الشحام وموثقه أبي بصير ومرسله ابن أبي عمر المرويات عن فروع الكافي، وحسنة هشام المحكية عن تفسير القمي ورواية عبد الأعلى المحكية عن معاني الأخبار والثلاثة الأولى في الوسائل الباب ٩٩ ح ٢ - ٩ - ٨ والرابعة نفس الباب ح ٢٦ والخامسة فيه ح ٢٠ وفي الدر المنثور ٥ : ١٥٩ - أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في سننه عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل، وفيه أخرج ابن أبي الدنيا وابن مردويه عن أبي امامة ان رسول الله ﷺ قال: ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله إليه شيطانين يجلسان على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك، أقول: يعني الغناء الملهي.

(٢) كما في صحيحة ابن مسلم ورواية مهرا بن محمد والوشاء ورواية عبد الأعلى السابقة، والثلاثة الأولى في الوسائل ب ٩٩ ح ٦ - ١١ - ١٦ وفي نور الثقلين ٤ : ١٩٣ عن معاني الأخبار بسند متصل عن يحيى ابن عيادة عن أبي عبد الله ﷺ قلت قوله ﷺ : ﴿ وَمَنْ أَلَّاسَ . . . ﴾ [لقمان: ٦] قال: منه الغناء.

فيه عن الكافي بسند متصل عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر ﷺ قال سمعته يقول: الغناء مما أوعد الله ﷻ عليه النار وتلا هذه الآية ومثله عن أبي عبد الله: الغناء مما قال الله . . . فيه عن الحسن بن هارون قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: الغناء مجلس لا ينظر الله إلى أهله وهو مما قال الله ﷻ : ومن الناس .

(٣) نور الثقلين ٤ : ١٩٤ عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ﷺ في الآية =